ايـــــران
فى القديم والحديث
للأستاذ مصطفى كامل

تتمتع إيران بفضل ارتفاعها عن سطح البحر كثيراً واتساع رقعتها بمناخين متمايزين ، أحدهما المناخ المعتدل ، وثانيهما المناخ الاستوائى . وقليل من بلاد العالم فى مثل اتساع رقعتها يستطيع أن يزهى بمثل هذا التباين فى المناخ، فبينما تكثر الأمطار فى الولايات الشمالية الثلاث التى تحد بحر الخزر ، فإنها لا تسقط فى الجنوب إلا فى فصل الربيع . أما هضبة إيران نفسها فإنها منطقة المناخ المعتدل .

وإيران من البلاد ذوات المدنيات القديمة ، فالاكتشافات التى تمت حديثاً فى السوس تدل بجلاء على أن العلاميين وهم من الجنس الآرى قد بلغوا مدنية مزدهرة فى عهد يمكن تحديده بأربعة آلاف سنة قبل المسيح .

وقد حل الفرس أول ما حلوا بالقرب من إيلان على هضبة إيران ، ثم قام واحد منهم فنال السلطان ، ثم جاء بعده شيروس فتوج ملكاً عام ٥٥٨ قبل الميلاد ، وقوض امبراطورية ميديا بعد عام ، وبعد أن تحالف مع الكلدانيين والمصريين دمر سطوة كريزوس ملك ليديا الذى كان يقلقه ، ثم فتح آسيا الصغرى ولم يلبث أن صار سيد كل آسيا الشرقية بلا منازع وكوّن امبراطورية لم يسبق أن كان لها مثيل.

على أن امبراطورية إيران بلغت ذروة المجد تحت حكم داريوس الأول ، ونالت التنظيم الإدارى الكامل واتسعت آماد حدودها اتساعاً كبيرا .

ولم يعرف العالم ملوك إيران بالفتوحات فحسب ، بل عرفهم كذلك بما بذلوه من الجهود لرخاء أمتهم .

واحتفظت إيران فى جميع العهود ، حتى فى العهد الإسلامى ، بطابعها واستقلالها الوطنى ، فقامت تحت حكم الصفويين وخاصة عباس العظيم بتقدم باهر ، وبلغت الهندسة والفن أوجهما فى عهده

لكن إيران أخذت تنزوى بعد ملوك الصفويين شيئاً فشيئاً عن العالم ، وبدأت طرق القوافل القوية الجميلة تعبث بها أيدى الإهمال ، وتناسى آخر الملوك القاجاريين الفوائد التى كانت تعود على البلاد من موقعها الطبيعى فى طريق مرور التجارة ، ودفعوا أمتهم بسبب عدم قدرتهم إلى الانحطاط ، لأن الرجل القوى الممتاز كان ينقصهم ... إلى أن وجد العامل الحالى ، فكون رضا شاه ، تحت اسم بهلوى الأول ، الأسرة الحاكمة الجديدة . وسيسجل التاريخ بحروف كبيرة اسم هذا الشاه العظيم الذى جمع فى شخصه رئيس الجيش والمشرع والمنظم والمصلح

ينحدر جلالة الأمبراطور من أقدم وأنبل أسر إيران التى قطنت البلاد منذ أبعد العصور، وجلالته من مقاطعة سافاد كوه التى يمثل أفرادها أنقى العناصر الإيرانية التى عرفت على مدى عصور التاريخ وفى مختلف الحوادث بالبطولة تارة وبالوطنية أخرى

وانتظم فى السلك العسكرى طبقاً لتقاليد أسرته، فتقلد المناصب المختلفة فيها ودرج فى مراتبها حتى ولى قيادة الجيش العامة ، ثم لم يلبث أن قلد منصب وزارة الحربية إلى أن تولى العرش فى نهاية عام ١٩٢٥ .

ومنذ ولى الملك أيقظ روح النشاط الكامنة فى شعبه بعد أن أشفى على الهوة وأحيا أملها وقوى يقينها ، وبدأت الإصلاحات تتوالى فى جميع نواحى النشاط الوطنى .

لكن عمله لم يقتصر على إمداد شعبه بالأمل وتأييده بنفسه فى تحقيق الإصلاحات فإن أكثر أثره فى وضعه الأسس القوية لقيادة شعبه نحو مستقبل رحى عظيم جدير بماضيه المجيد .

وكانت أولى جهوده العناية بالجيش ، فأصدر قانون التجنيد الذى يلزم كل إيرانى بالخدمة فى الجيش ، وأنشأ المدارس العسكرية وأرسل البعثات إلى أوربا لاستكمال التعليم العسكرى ؛ ثم وجه التفاته نحو تكوين قوة الطيران العسكرى ؛ وفى طهران مدرسة يذهب عدد وافر منها كل عام إلى أوربا . ثم أنشأ القوة البحرية لتأمين الشواطىء الإيرانية فاستطاع أن يحقق طمأنينة البلاد منذ سنين .

صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد فى سنة ١٩٣٤

وأما عمله فى ميدان السياسة فإنه استطاع أن يعقد اتفاقات عادلة على أساس من المساواة بدل تلك الاتفاقات الجائرة التى فرضتها الدول الأجنبية على بلاده فى عهد تدهورها .

وأولى أمور العدل عنايته كذلك ، فقام فيها بإصلاح كبير وسن القوانين فى زمن وجيز ، كان منها القانون المدنى والتجارى والتحكيم الإجبارى كما وضع المحاكم الدينية تحت رقابة الحكومة الرسمية وحدد لها اختصاصاً ضيقاً ؛ ثم استطاع أن يلغى فى عام ١٩٢٧ القضاء القنصلى والامتيازات الأجنبية .

ونالت مالية البلاد إصلاحات هامة فتعادلت الميزانية بعد استتباب الأمن وانتظام الحكم ، وبعد أن كانت الضرائب لا تجبى أو سيئة الجباية لضعف الحكومة واختلال الأمن .

وتعد مالية إيران من أسلم ميزانيات العالم ، والدولة لا تشعر برهق فى مواجهة أعبائها ، فماليتها تسمح لها بتحقيق مشروعاتها فى الإصلاح والمدنية

أما مسائل التعليم فتلفت النظر حقاً ، فقد شمل التعديل والتنظيم أموره وأصبح يجارى العصر الحديث كما تضاعفت ميزانيته وازداد عدد التلاميذ زيادة ضخمة

والتعليم إجبارى للأطفال من سن ٦ — ١٣ ذكوراً وإناثاً ، ومدة التعليم فيها ست سنوات فى المدن وأربع فى القرى ، بغير أجور فى المدارس العامة أو بأجر طفيف فى المدارس الخصوصية

أما مدة التعليم فى المدارس الثانوية فست للذكور وخمس للبنات ، والتدريس فيها على غرار المدارس الفرنسية خاصة

ومعاهد التعليم العالى الآن هى كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة ، وكلية الحقوق والعلوم السياسية ، وكلية التعليم والزراعة ثم معاهد الفنون والصنائع والتعدين ، والتجارة والدباغة والفنون للبنات وغيرها من المعاهد

وأنشأ نظام البلديات ، فاستطاعت مدينة طهران بفضل بلديتها الحديثة أن تقوم بإنشاء المستشفيات والملاجئ ودور الإسعاف ودور الأمومة على منوال بضارع العواصم الأجنبية ، وخطت الحدائق والميادين على أجمل نظام ، وشقت الطرقات فى أنحاء المدينة فسهلت ميادين العمل ، وشيدت بنايات على أحدث طراز

ولا تقل باقى المدن الأخرى فى إيران شأناً عن العاصمة فى نواحى الاصلاح فعاد الجمال والسحر إلى البلاد التى اشتهرت بهما بفضل هذه الجهود المتضافرة

واهتم جلالته كذلك بالأمور الزراعية ، فتربة إيران غنية ومحصولاتها منوعة ، وعنى خاصة بذراعة القطن أخيراً وزراعة الشاى وقام بإجراءات هامة لزيادة إنتاج البلاد من بينها إنشاء مدرسة الزراعة كما أنشأ مدارس نموذجية لتعليم الناس استخدام الوسائل العصرية

ولا يقل نشاط الحكومة فى ميادين الصناعة عما ذكر فأولت عنايتها خاصة لإنمائها فقامت معامل الصناعة فى مختلف البلاد منها

معامل السكر التى تكفى حاجة البلاد ، ومعمل الأسمنت ، ومصانع النسج والدبغ والصابون والكبريت ، ومصانع السجاد التى اشتهرت بها إيران فى العالم

وأرض إيران غنية بالمناجم ، فيها الحديد والرصاص والنيكل والنحاس والزئبق والمغانيز . كما دلت الأبحاث على أن بها الذهب والفضة والبلاتين . كما يوجد بها الوتاس والفحم الذى يستخرج بانتظام وبطريقة علمية

على أن أوفر منتجات مناجمها البترول مما يضعها بين أغنى بلاد العالم

ولم يفت جلالة الأمبراطور أن يهتم بطرق المواصلات . ولو عرفنا أنه شق أكثر من ٢٧ ألف كيلو متر من الطرق المنتظمة الواسعة رغم وعورة البلاد وطبيعتها الجبلية لأدركنا عظم الجهود التى بذلها

وامتدت كذلك أسلاك التلغراف كما أنشأ محطة لاسلكية قوية تتصل بأكبر محطات العالم، كما أن بها الآن خطى الطيران، بين باريز والهند الصينية ، وبين أمستردام وبتافيا

هذه هى لمحة عاجلة عن أعمال الامبراطور . كان عمله فى كل ناحية خلقاً . كانت إيران ميتة ، أما الآن فقد دبت فيها الحياة

العهد الايرانى

تعتبر أصفهان — مدينة الملوك الصفويين وعاصمة فارس مدى أحقاب طويلة — من ألطف بلاد إيران بفضل قصورها العجيبين ، وجسورها الرائعة ، وهيا كلها الفخمة الفنية ؛ فان النقوش والتصاوير التى على جدرانها أعجب ما عمل من نوعها ، والسياح الذين يسافرون بين أصفهان وشيراز يعجبون بمجموعتين ضخمتين من الهياكل

والبحوث التى تمت فى السنين الأخيرة كشفت عن نقوش عجيبة دلت على ثروة هائلة من المعلومات التاريخية ، ورفعت النقاب عن آثار جميع المدنيات التى تعاقبت على أرض الفرس

وعلى مقربة من هذه المنطقة تقع مدينة شيراز حيث يوجد قبرا الشاعرين الكبيرين : السعدى وحافظ ، كما يوجد غيرهما هياكل أثرية وأعمال فنية على جانب كبير من الأهمية

وهذه الولاية وولاية فارس كانتا مهد العظمة الفارسية قبل الإسلام ، وتوجد فى أزربيجان جوامع جميلة جداً ، كما توجد قبور الملوك الصفويين العظيمة

صاحب السمو الامبراطوري ولى العهد فى سن السابعة

وعلى شاطئ أراكس فى الجنوب الشرقى من أصفهان فى سهل مرد خب الحالى الفسيح ، حيث ترى إلى الآن خرائبها ، كانت تقوم برسيبوليس التى كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة منذ ألفين وخمسمائة عام ، وكان ينضوى تحت لوائها عشرون ولاية ، تمتد حدودها من فارجيانا Farg Kiana فى الشمال الشرقى إلى الحبشة فى الجنوب الغربى ، والبلقان فى الشمال الغربى إلى السند فى الجنوب الشرقى

الأدب الفارسى

كان الأدب الفارسى زاخراً فى كل وقت ، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عهود ، العهد الدينى ، وعهد الملاحم ، وعهد الشعر الغنائى ، ويكمل هذه الأنواع الثلاثة أدب المسرح والقصة

وقد خضعت اللغة الفارسية لعدة تعديلات ، فقد ظلت

الإيرانية القديمة اللغة الرسمية إلى القرن الثالث قبل الميلاد ؛ وهى لغة ساذجة فقيرة

ثم تطورت بعد ذلك إلى اللغة البهلوية ، وهى مزيج من الإيرانية القديمة والعناصر السامية ، وبقيت هى اللغة الوطنية إلى الفتح الإسلامى

على أن اللغة الفارسية الأخيرة لم تولد إلا فى القرن العاشر ، حين دخل على الروح الفارسية تطور أساسى ، فبعد أن كانت محض لغة دينية أصبحت لغة أدب ، وصار الشعراء محل إكرام وتبجيل فى بلاط الملوك وشغلوا مناصب رفيعة

وكان الفردوسى أكبرهم وأثراهم ، تجسدت فيه الروح الشرقية بشكل عجيب ، وخاصة فى الناحية الشعرية والغرامية ، وكان شعره يزدان بالفخامة والروعة اللتين كانتا تسودان فى بلاط الملوك

ويجب أن نذكر بين الشعراء الغنائيين السعدى الذى اشتهر بكتابيه كولستان والبستان اللذين يعتبران قانون الأخلاق الفارسية حتى لقد اشتهرا فى العالم أجمع كما أن العالم كله يعرف البديعيات الساحرة التى ينشر بها هـذا الشاعر الكبير تعاليمه فى الأخلاق الدينية والإنسانية ، وإننا لنلمس تحت ستار الأمثال البديعة الدليل على إخلاصه فى إصلاح النفس والقلب الانسانى ؛ وقد يبدو أن الشاعر يعرفهما أتم معرفة لطول ما قاسى فى كثير من الملاحظة والتأمل

ويعجبنا فى السعدى حب الجمال والملاحة على الخصوص ؛ وهو على وجه خاص فنان لأنه شديد الحس ، يحيا بين الزهور ، ويحب الملابس المتألقة ، ويجمل أشخاصه بجواهر متناهية الدقة فى النقش ، ويعطرهم بالمسك والعنبر ؛ وإن يكن فنه غير فخم لكنه شديد الأناقة والرقة

وحافظ هو أحد شعراء الفرس الوطنيين الرشيقين ، وأحد الذين يفهم الغرب عنهم روح الشرقيين أحسن فهم بفلسفته الضاحكة وهزئه الساخر

ثم عمر الخيام الذى يدين بشهرته لكتابه بالمعروف الرباعيات الذى يزخر بالسخرية والشك . وقد سبيت ترجمة كتابه إلى الإنجليزية ضجة فى أوربا وأميركا حتى غدت شهرته الآن تملأ الآفاق

مصطفى كامل
المحامى

شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت
(احدى مؤسسات بنك مصر)
تنتج أجود زيوت الطعام:
الملك . الممتاز . المصرى
اطلبوها من:
مكتب بيع الزيت : شارع الأزهر تليفون ٥٤٠٢٠
ومن جميع البقالين